(٩٨) [الجواد]

لم يرد ذكر هذا الاسم الكريم في القرآن الكريم وإنما جاء ذلك في السُّنَّة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الله تعالى جواد يحب الجود ويحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها)**[١].

وروى الترمذي عن أبي ذر الحديث القدسي الطويل والذي مطلعه: **(يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي...)** وزاد الترمذي فيه: **(ذلك بأني جواد ماجد أفعل ما أريد...)** الحديث[٢].

المعنى اللغوي:

قال في اللسان: «الجيد نقيض الرديء... ورجل جواد: سخي والجمع: أجواد، وجاودت فلانًا فجدته أي: غلبته بالجود.. وجاد الرجل بماله يجود جُودًا بالضم فهو جواد»[٣].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: «وقال أهل العلم: الجواد في كلام العرب معناه: الكثير العطاء؛ يقال: منه جاد الرجل يجود جودًا فهو جواد. قال أبو عمرو بن العلاء: الجواد: الكريم... وتسمية الرب سبحانه وتعالى جوادًا، وإن كان قد قيل هو بمعنى كونه كريمًا فالاسم الكريم يتناول معاني الجود، فإن فيه معنى الشرف والسؤدد ومعنى الحلم وفيه معنى الإحسان»[٤].

---

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٤٤)، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٦٢٧)، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٥/ ٢٩.

(٢) هذه الزيادة حسنها الترمذي (٢٤٩٥)، وضعفها الألباني في ضعيف الترمذي (٤٤٧).

(٣) لسان العرب ١/ ٧٢٠.

(٤) بيان تلبيس الجهمية ١/ ١٩٦.

المعنى في حق الله تعالى:

قال ابن القيم – رحمه الله تعالى – في نونيته:

«وهو الجواد فجوده عم الوجود جميعه بالفضل والإحسان
وهو الجواد فلا يُخيِّب سائلاً ولو أنه من أمة الكفران»[1]

وتحدث – رحمه الله تعالى – عن آثار جوده سبحانه فقال: «إن الربَّ: هو القادر الخالق البارئ المصور؛ الحي القيوم؛ العليم السميع البصير، المحسن المنعم (الجواد)، المعطي المانع، الضار النافع، المقدم المؤخر، الذي يُضلُّ من يشاء ويهدي من يشاء، ويُسعد من يشاء ويُشقي من يشاء، ويُعِزُّ من يشاء ويُذِلُّ من يشاء، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته التي له منها ما يستحقه من الأسماء الحسنى»[2].

كما قرَّر – رحمه الله تعالى – معنى هذا الاسم؛ وبيَّن أنَّ الله تعالى هو الجواد لذاته بقوله: «إنه يُحِبُّ الإحسان والجود والعطاء والبِرَّ، وإن الفضل كلَّه بيده؛ والخير كلَّه منه؛ والجود كلَّه له. وأحبُّ ما إليه: أن يجود على عباده ويُوسِعهم فضلاً، ويغمرهم إحسانًا وجودًا، ويتم عليهم نعمته، ويضاعف لديهم منته، ويتعرف إليهم بأوصافه وأسمائه، ويتحبب إليهم بنعمه وآلائه، فهو الجواد لذاته، وجود كل جواد خلقه الله، ويخلقه أبدًا أقل من ذرة بالقياس إلى جوده. فليس الجواد على الإطلاق إلا هو، وجود كل جواد فَمِنْ جوده. ومحبته للجود والإعطاء والإحسان، والبر

(١) نونية ابن القيم الأبيات (٣٢٩٣) (٣٢٩٤).
(٢) بدائع الفوائد ٢/ ٢١٢.

والإنعام والإفضال فوق ما يخطر ببال الخلق، أو يدور في أوهامهم.

... ولو أن أهل سماواته وأرضه، وأول خلقه وآخرهم، وإنسهم وجنهم، ورطبهم ويابسهم قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحد ما سأله: ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة.

وهو الجواد لذاته، كما أنه الحي لذاته، العليم لذاته، السميع البصير لذاته. فجوده العالي من لوازم ذاته، والعفو أحب إليه من الانتقام، والرحمة أحب إليه من العقوبة، والفضل أحب إليه من العدل، والعطاء أحب إليه من المنع.

فإذا تعرض عبده ومحبوبه الذي خلقه لنفسه، وأعد له أنواع كرامته، وفضله على غيره، وجعله محل معرفته، وأنزل إليه كتابه، وأرسل إليه رسوله، واعتنى بأمره ولم يهمله، ولم يتركه سدى؛ فتعرض لغضبه، وارتكب مساخطه وما يكرهه وأَبَق منه، ووالى عدوه وظاهَره عليه، وتحيز إليه، وقطع طريق نعمه وإحسانه إليه التي هي أحب شيء إليه، وفتح طريق العقوبة والغضب والانتقام، فقد استدعى من الجواد الكريم خلاف ما هو موصوف به من الجود، والإحسان، والبر، وتعرض لإغضابه وإسخاطه وانتقامه، وأن يصير غضبه وسخطه في موضع رضاه، وانتقامه وعقوبته في موضع كرمه وبره وعطائه. فاستدعى بمعصيته من أفعاله ما سواه أحب إليه منه، وخلاف ما هو من لوازم ذاته من الجود والإحسان»[1].

(١) مدارج السالكين ١/ ٢١٢، ٢١٣.

وقال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: «الجواد: يعني أنه تعالى الجواد المطلق الذي عم بجوده جميع الكائنات، وملأها من فضله، وكرمه، ونعمه المتنوعة، وخص بجوده السائلين بلسان المقال أو لسان الحال من بر، وفاجر، ومسلم، وكافر، فمن سأل الله أعطاه سؤاله، وأناله ما طلب، فإنه البر الرحيم: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣].

ومن جوده الواسع ما أعده لأوليائه في دار النعيم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[(١)].

وقال أيضًا: «والجواد الذي عم بجوده أهل السماء، والأرض فما بالعباد من نعمة فمنه وهو الذي إذا مسهم الضر فإليه يرجعون، وبه يتضرعون، فلا يخلو مخلوق من إحسانه طرفة عين، ولكن يتفاوت العباد في إفاضة الجود عليهم بحسب ما منّ الله به عليهم من الأسباب المقتضية لجوده، وكرمه، وأعظمها تكميل عبودية الله الظاهرة، والباطنة العلمية، والعملية القولية، والفعلية، والمالية، وتحقيقها باتباع محمد ﷺ بالحركات والسكنات»[(٢)].

من آثار الإيمان باسمه سبحانه (الجواد):

أولاً: ما ذكر من آثار الإيمان باسمه سبحانه (الكريم، الأكرم، المنان، الوهاب) يصلح أن يذكر هنا فليرجع إليها. ويحسن أن يضاف هنا قول

(١) الحق الواضح المبين ص ٦٦ ، ٦٧.

(٢) توضيح الكافية الشافية ص ١٢٤.

ابن القيم رحمه الله تعالى: «فهو سبحانه يُحِبُّ من عباده أن يُؤَمِّلُوه ويرجوه ويسألوه من فضله؛ لأنه الملك الحقُّ (الجواد)، أجود من سُئِلَ؛ وأوسع من أعطى، وأحبُّ ما إلى (الجواد): أن يُرجى ويُؤَمَّل ويُسأل، وفي الحديث: (من لم يسأل الله يغضب عليه)[1].

والسائلُ راجٍ وطالبٌ، فمن لم يرج الله: يغضب عليه، فهذه فائدةٌ أخرى من فوائد الرجاء؛ وهي: التخلُّص به من غضب الله»[2].

ثانيًا: ومن الآثار التي يؤكد عليها هنا: التَخلق بصفة (الجود) والسعي لإيصال الخير للناس، والإنفاق بسخاء في وجوه الخير التي يحبها الله - عز وجل - فالله - عز وجل - جواد يحب الأجواد من عباده، وقد ذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - عشر مراتب للجود أسوقها على وجه الاختصار، قال رحمه الله تعالى: «و«الجود» عشر مراتب:

أحدها: الجود بالنفس، وهو أعلى مراتبه، كما قال الشاعر:

يجود بالنفس، إذ ضَنَّ البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

الثانية: الجود بالرياسة، وهو ثاني مراتب الجود، فيحمل الجواد جودُه على امتهان رياسته، والجود بها، والإيثار في قضاء حاجات الملتمس.

الثالثة: الجود براحته ورفاهيته، وإجمام نفسه، فيجود بها تعبًا وكَدّاً في مصلحة غيره. ومن هذا جود الإنسان بنومه ولذته لمسامِرِه، كما قيل:

---

(١) الترمذي (٣٧٧٠)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٦٨٦).

(٢) مدارج السالكين٢/ ٥٠.

مُتَيَّمٌ بالنَّـدَى، لو قال ســـــائله: هب لي جميع كَرى عينيك، لم يَنَمِ

الرابعة: الجود بالعلم وبذله؛ وهو من أعلى مراتب الجود؛ والجود به أفضل من الجود بالمال؛ لأن العلم أشرف من المال.

والناس في الجود به على مراتب متفاوتة، وقد اقتضت حكمة الله وتقديره النافذ أن لا ينفع به بخيلاً أبدًا. ومن الجود به أن تبذله لمن يسألك عنه، بل تطرحه عليه طرحًا.

ومن الجود بالعلم أن السائل إذا سألك عن مسألة استقصيت له جوابها جوابًا شافيًا، لا يكون جوابك له بقدر ما تدفع به الضرورة، كما كان بعضهم يكتب في جواب الفتيا «نعم» أو «لا» مقتصرًا عليها...

الخامسة: الجود بالنفع بالجاه؛ كالشفاعة والمشي مع الرجل إلى ذي سلطان ونحوه؛ وذلك زكاة الجاه المطالَبُ بها العبد، كما أن التعليم وبَذْلَ العلم زكاته.

السادسة: الجود بنفع البدن على اختلاف أنواعه، كما قال ﷺ: **(يُصْبح على كل سُلامَى من أحدكم صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس، يعدل بين اثنين صدقة، ويعين الرجل في دابته، فيحمله عليها، أو يرفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خُطوة يمشيها الرجل إلى الصلاة صدقة، ويُميط الأذى عن الطريق صدقة)**[1].

السابعة: الجود بالعرض، كجود أبي ضَمْضَم من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كان إذا أصبح قال: «اللَّهم إنه لا مال لي أتصدق به على

(١) مسلم (٧٢٠)، وأبو داود (١٢٨٥).

الناس، وقد تصدقت عليهم بعرضي، فمن شتمني، أو قذفني فهو في حل. فقال النبي ﷺ: (**من يستطيع منكم أن يكون كأبي ضمضم؟**)»[1].

وفي هذا الجود من سلامة الصدر، وراحة القلب، والتخلص من معاداة الخلق ما فيه.

الثامنة: الجود بالصبر، والاحتمال ، والإغضاء، وهذه مرتبة شريفة من مراتبه، وهي أنفع لصاحبها من الجود بالمال، وأعزّ له وأنصر، وأملك لنفسه، وأشرف لها، ولا يقدر عليها إلا النفوس الكبار.

فمن صعب عليه الجود بماله فعليه بهذا الجود، فإنه يجتني ثمرة عواقبه الحميدة في الدنيا قبل الآخرة...

التاسعة:الجود بالخُلق والبشر والبسطة؛ وهو فوق الجود بالصبر، والاحتمال والعفو؛ وهو الذي بلغ بصاحبه درجة الصائم القائم؛ وهو أثقل ما يوضع في الميزان. قال النبي ﷺ: (**لا تَحْقِرَنَّ من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك ووجهك منبسط إليه**)[2] وفي هذا الجود من المنافع والمسار، وأنواع المصالح ما فيه؛ والعبد لا يمكنه أن يسع الناس بماله ويمكنه أن يسعهم بخلقه واحتماله.

العاشرة: الجـود بتركه ما في أيدي الناس لهم، فلا يلتفت إليه. ولا يستشرف له بقلبه، ولا يتعرض له بحاله، ولا لسـانه؛ وهـذا الذي قال عبد الله بن المبارك: «إنه أفضـل من سـخاء النفـس بالبذل».

---

(١) أبو داود (٤٨٨٧)، وضعفه الألباني في الأرواء (٢٣٦٦).

(٢) أبو داود (٤٠٨٤)، وروى نحوه مسلم (٢٦٢٦).

ولكل مرتبة من مراتب الجود مزيد وتأثير خاص في القلب والحال، والله سبحانه قد ضمن المزيد للجواد، والإتلاف للممسك، والله المستعان»[1].

الفرق بين الجود والتبذير:

ومع أن الجود ممدوح ومحبوب إلى الله تعالى، فإنه ينبغي التفريق بين الجود الممدوح وبين السرف والتبذير المذمومين، وبيَّن الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - الفرق بين الجود والإسراف فقال: «والفرق بين الجود والسرف، أن الجواد حكيم يضع العطاء مواضعه، والمسرف مبذر، وقد يصادف عطاؤه موضعه، وكثيرًا لا يصادفه، وإيضاح ذلك أن الله سبحانه بحكمته جعل في المال حقوقًا وهي نوعان:

حقوق موظفة، وحقوق ثانية، فالحقوق الموظفة كالزكاة والنفقات الواجبة على من تلزمه نفقته.

والثانية: كحق الضيف، ومكافأة المهدي، وما وقى به عرضه ونحو ذلك، فالجواد يتوخى بماله أداء هذه الحقوق على وجه الكمال طيبة بذلك نفسه راضيةً مؤملة للخلف في الدنيا والثواب في العقبى، فهو يخرج ذلك بسماحة قلب وسخاوة نفس وانشراح صدر بخلاف المبذر فإنه يبسط يده في ماله بحكم هواه وشهوته جزافًا لا على تقدير، ولا مراعاة مصلحة وإن اتفقت له.

فالأول بمنزلة من بذر حبة في الأرض تنبت وتوخى ببذره مواضع المَغْل والإنبات فهذا لا يعد مبذرًا ولا سفيهًا. والثاني بمنزلة من بذر حبة في سباخٍ وعزاز من الأرض، وإن اتفق بذره في محل النبات بذر بذرًا

(١) مدارج السالكين ٢/ ٢٩٣ - ٢٩٦ (باختصار).

متراكمًا بعضه على بعض، فذلك المكان البذر فيه ضائع معطل، وهذا المكان بذر بذرًا متراكمًا على بعض، فلذلك يحتاج أن يقلع بعض زرعه ليصلح الباقي ولئلا تضعف الأرض عن تربيته.

والله سبحانه هو الجواد على الإطلاق بل كل جود في العالم العلوي والسفلي بالنسبة إلى جوده أقل من قطرة في بحار الدنيا وهي من جوده، ومع هذا فإنما ينزل بقدر ما يشاء، وجوده لا يناقض حكمته، ويضع عطاءه مواضعه وإن خفي على أكثر الناس أن تلك مواضعه فالله يعلم حيث يضع فضله وأي المحال أولى به»[1].

(١) الروح ص ٤٩٨، ٤٩٩.